العرب
الإثنين 2020/01/06
السنة 42 العدد 11578

«تطبيق» برمجيات حديثة تُشوّه سلوك البشر

صوت أنثوي مجهول يغيّر مسار حياة ممثل ناجح

ترصد سينما الخيال العلمي ثيمة الذكاء الاصطناعي التي تدخل في مفاصل كثيرة من حياة الإنسان، في نوع من القراءة المستقبلية للشكل الذي سوف تكون عليه العلاقات الاجتماعية وصورة المجتمع برمته في ظل سيطرة التطبيقات والبرمجيات الحديثة على الواقع الجديد.

ذكاء اصطناعي مُربك

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

يحضر الذكاء الاصطناعي في العديد من أفلام الخيال العلمي من خلال صورة الفرد وكيف تأثرت حياته بذلك الواقع الجديد، وغالبا ما يكون هناك شعور بالوحدة والعزلة ينتاب الكثير من تلك الشخصيات التي تعيش الذكاء الاصطناعي بجميع تفاصيله، وسوف يذكرنا "تطبيق" بفيلم "آي. أم.آي" للمخرج راستي نيكسون والذي سبق وأن عرضنا له في هذه الصفحة، حيث يقدّم صورة مروّعة لسيطرة الذكاء الاصطناعي المفضي إلى ارتكاب جرائم بشعة.

ولعل ما يلفت النظر هنا، هو كيف تتحوّل حياة الفرد إلى ما هو أفضل وأكثر تطورا، وهو توقع منطقي، لكن تمكّن الذكاء الاصطناعي لا يجلب في الغالب إلّا تعقيدات ومشاكل وصراعات وبؤسا من نوع جديد.

> الذكاء الاصطناعي بات يتوغّل في الحياة الشخصية للبطل، ويكشف طباعه وأفكاره وأسراره الخاصة

في هذا الفيلم للمخرجة إليسيا فوكساس سوف ندخل مدخلا بسيطا من خلال علاقة عاطفية تربط بين شابين هما: نك (فنيسنو كريا) وصديقته (جيسيكا كريسي)، حيث يدرس كلاهما في الولايات المتحدة، فالشاب نك هو ممثل موهوب، فيما تدرس صديقته مجال علوم الاتصالات والتواصل الاجتماعي، وتحديدا التطبيقات والبرمجيات الحديثة وكيفية تأثيرها على حياة الأفراد.

تقرّر الصديقة أن تزجّ بصديقها عن حسن نية في أحد تطبيقات التعارف والمواعدة لغرض أن تعدّه من بين الحالات التي تقوم بدراستها. وفي الأثناء يعود الممثل الموهوب إلى إيطاليا حيث بانتظاره دور مهم في فيلم عن حياة المسيح يقوم هو ببطولته.

نك، شاب ينحدر من عائلة ثرية والتمثيل بالنسبة إليه استمرار لذلك المستوى الاجتماعي والشهرة، وهو بسيط في خبراته ومفردات حياته، حتى إذا تدفقت عليه تلك الأصوات القادمة من فتيات مجهولات، يبدأ في الغرق فيها مهما حاول التخلص منها.

شخصية تمّ رسمها بعناية، حيث الشهرة والثراء ليسا كافيين لملء فراغات الشخصية ودورانها حول نفسها. يبحث نك بين من يعرف، من تقرأ ذاته بشكل جيد، وهو ما احترفت فيه ماريا (الممثلة مايا سانسا)، الشخصية المجهولة في التطبيق التي تحاوره وتلاحقه وتقلب حياته رأسا على عقب.

هذا النسيج الاجتماعي الخارجي المرتبط بشخصية هذا الشاب اللامع يرافقه بالمقابل عالم آخر، هو عالم الذكاء الاصطناعي الذي صار يتوغّل في حياته الشخصية ويكشف طباعه وسلوكياته وأفكاره وأسراره الخاصة وغيرها.

في المقابل، تنشئ المخرجة خطا سرديا آخر لا يقل براعة عن الخطوط السابقة من خلال شخصية قليلة الكلام، وهي أوفيليا (الممثلة جريتا سكارانو)، الموظفة في الفندق الذي يقيم فيه نك، فترعى شؤونه واحتياجاته، لكنها تبدو غريبة الأطوار في عزلتها وصمتها من جهة، ثم نكتشف أنها متدينة وتبحث عن الخلاص وكل ذلك يجري فيما يتقمص نك شخصية السيد المسيح.

كل شيء سوف ينهار فجأة، ذلك الكائن المجهول (ماريا) سوف يغيّر جميع المسارات، يفقد نك قدرته على العمل والتركيز لأنه ملاحق بذلك الصوت الذي ينبض في داخله، علاوة على إهماله لصديقته التي يكتشف في ما بعد أنها حبلى منه.

لا يجد نك مفرا من تلك الدائرة التي أطبقت عليه من جميع الجهات والكابوس الذي ينهش أيامه ولياليه؛ صراع نفسي ووجداني عميق سوف يعيشه نك وهو يحاور ذلك الصوت الذي يناجيه من المجهول، ويتمكن من التغلغل في مناطق مجهولة من شخصيته فتظهر عزلته ووحدته وعجزه عن إدراك الكثير ممّا حوله.

يسقط نك في تلك الحفرة الغائرة التي لن يعرف كيف يخرج منها، لكن وجها آخر لها يتمثل في أوفيليا التي تحاول أن تجرّه إلى الخلاص من خلال إيمانها، بينما تبقيه صديقته في ذلك التطبيق المدمّر. أما ماريا فإنها تدع الأزمة تتصاعد تاركة روح نك تحترق على مهل وسط حطام نفسي واجتماعي لا يعرف له قرار.

الشخصية المأزومة هنا تتشظى على مستويات عدة، فهناك أوفيليا وصديقة نك وكل منهما تحمل شكلا من أشكال الأزمة، بينما يشكل نك محور تلك الأزمة في انقياده العشوائي لصوت الذكاء الاصطناعي الذي تختبئ من وراءه امرأة مجهولة تغير مسار حياته.

على أن التحوّل الدرامي الأكثر أهمية في الفيلم، ذاك الذي أتى من خلال اعتراف ماريا بأنها هي المرأة الافتراضية التي أنتجها الذكاء الاصطناعي وأنها نتاج أبحاث في التحري عن الشخصيات التي تدخل تطبيقات التعارف، حيث تقوم الخوارزميات بالوصول إلى حقيقة قرار الشخصية وطباعها وسلوكها ومشكلاتها وهو ما نفّذته ماريا، ذلك الكائن الوهمي، واستطاعت بكل وسائل الإغواء والتمويه أن توقع بشخص طموح وناجح، هو نك، وتتركه يدور حول نفسه.

لعل ما يلفت النظر في هذا البناء الدرامي المتقن القائم على تنوع القوى الفاعلة في الفيلم، أن انتقالنا من مستويات القوة إلى الضعف في ما يتعلق بالشخصية، تمّ كله على خلفية أزمة حقيقية تم نسجها بعناية حتى بدا نك مُغتربا عن كل ما حوله من أماكن الرفاهية والترف.

فرنسا تحتفي بالباروكي الإيطالي لوكا جوردانو

لأول مرة في فرنسا، يقام معرض استثنائي للرسام الباروكي الشهير لوكا جوردانو، الذي حاز شهرة واسعة في كامل أوروبا خلال القرن السابع عشر، وهو معرض يقام في القصر الصغير بباريس ويتواصل حتى نهاية شهر فبراير القادم.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

من الفنانين الكبار الذين طواهم النسيان، الباروكي لوكا جوردانو (1634– 1705) الذي لمع نجمه باكرا، واعتُرف له بنبوغه في أوروبا كلها، ولكنه لم يحظ بمعرض يليق بمقامه إلّا في مطلع هذا القرن، وفي مناسبات قليلة؛ واحد في نابولي مسقط رأسه عام 2001، واثنان في مدريد سنتي 2002 و2008. ومن ثمّ اعتبر المعرض الذي يقام له حاليا في متحف القصر الصغير بباريس حدثا بالغ الأهمية.

ورث جوردانو فن الرسم عن أبيه أنطونيو، وكان ذا موهبة مبكرة، إذ تمكن منذ سن الثامنة من رسم صورة ملاك على إحدى لوحات والده. ولما علم وليّ العهد بهذا الطفل النابغ، وكانت نابولي وقتها تحت حكم كارلوس الثاني ملك إسبانيا، أمر بتسجيله في ورشة الإسباني خوسيبي دو ريبيرا، الذي اختار الاستقرار بنابولي. وكان دو ريبيرا وريث المذهب الطبيعي الذي سار عليه كرفاجو، ما جعل بورتريهات الفلاسفة التي رسمها جوردانو في شبابه، وكذلك أعماله الدينية الأولى مثل "سان سيباستيان"، متأثرة بأسلوب أستاذه من جهة ألوانه العاتمة وأجوائه الكئيبة.

ولو أن جوردانو كان يتنقل من الظل إلى الضوء في المرحلة نفسها، نظرا لإقباله على رسم جداريات المعابد وتزويق أسقف بعض القصور، ما يضطره إلى استعمال ألوان مشرقة.

لم يقتصر عمله على المواضيع الدينية وحدها، بل أقبل أيضا على رسم مظاهر الحياة مع إحالات حسية على ميثولوجيا مسكونة بالعري، من فينوس إلى أريان المهجورة. وكان أيضا يرسم أعمالا ذات صبغة تراجيدية مثل لوحة "شمشون والأسد"، أو لوحة "سان جينّارو" عن الوباء الذي فتك بنصف سكان مدينة نابولي عام 1656، حيث جثث الموتى تتكدّس فوق بعضها بعضا.

في ورشة دو ريبيرا، ما لبث الفتى جوردانو أن تمرّس بأدوات فنه، وبدأ يرسم لوحات وجداريات للكنائس النابولية، قبل أن يسافر عام 1652 إلى مراكز الفن التي شهدت بزوغ فجر النهضة الإيطالية، فزار روما حيث اكتشف أعمال مايكل أنجلو، ورفائيل، وأنيبالي كرّاتشي وكرفاجو، وانتقل إثرها إلى البندقية، ثم إلى بارما وفلورنسا حيث أنجز أهم سقف باروكي في القرن السابع عشر بإيطاليا، وهو سقف مكتبة قصر ميديشي – ريكّاردي.

بعد عودته من رحلة أخرى إلى روما، حيث ازداد اطلاعا على أعمال روبانس وبيير دو كورتون، أنجز عدة أعمال ضخمة؛ أربعة منها معروضة في باريس، بصورة مؤقتة، في شكل إعارة من متحف كابوديمونتي وبعض كنائس نابولي، ومتحف برادو بمدريد.

عام 1657 استقر في إسبانيا، حيث عمل في بلاط الملك كارلوس الثاني، وأنجز عدة جداريات في وقت قياسيّ، مستعملا أحيانا يديه في تلوين لوحاته، ومستعينا في أحيان أخرى بفريق من الرسامين يعملون في ورشته، ما دفع الإسبان إلى تلقيبه بـ"في عجلة من أمره" (IR TEMPRANO) شأن الإيطاليين الذين كانوا يقولون عنه هم أيضا (VA PRESTO). في تلك الفترة قام بتزيين الكنائس، ودَيْر الإسكوريال الملكي، وكاتدرائية طليطلة. وكانت كلها تقريبا أعمالا لامعة، متألقة، مسكونة بشخصيات تبدو وكأنها تدور حول نفسها، أو تخبق في الفضاء كالملائكة.

ولكي يقدّم المعرض هذا الجانب من عمل جوردانو، أعدّت قاعة تبث على ثلاثة من جدرانها صور جامعة أو مفصلة عن جداريات الإسكوريال وكنيسة سان أنطوان الألمان في مدريد، المكسوة من الأرضية إلى السقف.. وبعد عشر سنوات قضاها في البلاط الملكي، عاد عام 1702 إلى نابولي حيث أنجز ست لوحات أخرى لكنيسة مجمع جيرولاميني، ولكن كان عليه أن يواجه منافسين جددا، مثل فرنشيسكو سوليمينا، رغم أن الأجيال اللاحقة سوف تهتم بتجربته وتستفيد منها، بدءا بالرسامين الفرنسيين في القرن الثامن عشر.

إن ما يميز لوكا جوردانو، إضافة إلى سرعة إنجازه لمشاريعه وغزارة إنتاجه، ميله إلى الأخذ عن سابقيه والتصرّف في ما يأخذه بمهارة، وقد شبهه كريستوف ليريبو، مدير القصر الصغير، بإسفنجة حقيقية، فهو يمتصّ تجربة كل من يصادفه، ويلتقط دورسا كثيرة من فناني الماضي، مهما كان انتماؤهم، أمثال دورر ورفائيل وتيسيانو وفيرونيزي وكورّيجو.

> جوردانو بمثابة بيكاسو في قدرته على استيعاب أساليب أعلام آخرين وهضمها

ولا يعني ذلك نقصا في إلهامه أو ضعفا في موهبته، وإنما ذلك شأنه، فهو يأخذ من كل مراحل الفن الماضية، ليعيد تشكيل أشياء راهنة على طريقته.

مثلما شبهه ستيفانو كوزا، أستاذ تاريخ الفنون بجامعة نابولي، ببيكاسو في قدرته على استيعاب أساليب أعلام آخرين وهضمها، وفي طاقته العجيبة على الإنتاج بشكل وافر، فقد ترك جوردانو نحو خمسمئة ألف أثر، دون اعتبار الرسوم.

لقد استطاع لوكا جوردانو أن يستلهم أفضل ما في التيارات الأسلوبية في عصره، وأن يستوعب فن التلوين لدى أعلام النهضة، وبفضل أنسجة لوحاته المخملية وأضوائها اللامعة صارت تجربته من أكثر التجارب إثارة للإعجاب في عصره، وجعل صاحبها أكبر فنان باروكي في إيطاليا، وهو ما يؤكده ستيفانو كوزا.

شخصيات تبدو وكأنها تدور حول نفسها

الرسم على القوارب

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما ترغب فيه الفنادق هو المطلوب. هل قال أحد ذلك؟ لا لم يقله أحد. ولكنه الواقع. هناك حملة مشبوهة يقوم بها بعض المتعهدين من أجل تزويد الفنادق باللوحات بأثمان بخسة.

لن تخسر الفنادق شيئا إذا قامت باستضافة الفنانين مقابل لوحات يقدّمونها وهم ممتنّون. تبدو الفنادق كريمة كما أن الفنان بإمكانه أن يلهو فيرسم أي شيء ليقدّمه في مقابل ذلك الكرم.

ولكن المسألة في حقيقتها ليست كذلك. فإذا كان الفنانون من الدرجة العاشرة فإن الفنادق تكون هي الخاسرة وهو ما تستحقه، أما أن يتم توريط فنانين حقيقيين في مناسبات كهذه فإن الفن سيكون هو الخاسر.

فإذا رسم الفنان بطريقة صادقة فإنه سيمثل دور المضحوك عليه، أما إذا رسم دفعا للعتب فإنه يخون فنه، فلوحته التي ستعرض في الفندق وتحمل توقيعه ستكون واحدة من علامات ضعفه وهوانه وتدني قيمته الفنية. تلك مسألة يصعب التحكم بها في ظل واقع ثقافي مصاب بقلة الاكتراث حيث لا يسمع الفنانون صدى لما يقومون به على المستوى الاجتماعي.

يعيش الفنانون العرب اليوم مرحلة هي الأسوأ في التاريخ الحديث. فبعد أن كان البعض منهم مقربا من الأنظمة السياسية التي كانت تعتبر الفن جزءا من آلتها الدعائية انقلب النظام السياسي العربي عليهم. لم تعد الأنظمة في حاجة إلى فنانين.

شعور الفنان بالغربة قد يدفعه إلى الخضوع لكل ما يمكن أن يجعله مرئيا. هل سمعتم بالفنانين الذين يرسمون على القوارب؟ أعتقد أنها مغامرة مضحكة. فما الذي يمكن أن يُرسم على قارب؟ وكيف يمكن لفنان يحترم نفسه أن يسمح للآخرين بأن يفرضوا عليه السطح الذي يرسم عليه عمله؟

سيكون القارب فاتحة لأشياء أخرى ستفرض على الرسامين أن يرسموا عليها. الرسام العربي في لحظة ضعف. لكن يجب عدم استضعافه واستصغاره إلى هذه الدرجة.

أرجوكم أيها الفنانون لا تستصغروا أنفسكم إلى درجة قد لا يرحمكم التاريخ معها.

مغامرة مضحكة